القَواعدُ القرءانيَّة والأُصولُ الإيمانيَّة

في تَنزيهِ اللهِ عَنِ الجِسميَّةِ وَالصّورَةِ والكَيفيَّة

ملتزم الطبع

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الطبعة الأولى

٢٠١١ر-١٤٣٢هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وأشهد أن لا إلٰه الا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا زوجة ولا ولد له ولا شبيه ولا مثيل له ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له ولا هيئة ولا أعضاء ولا شكل ولا صورة له ولا أين ولا كيفية ولا كمية له ولا جهة ولا حيز ولا مكان له كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك تنزه ربي عن الجلوس والقعود وعن الحركة والسكون وعن الاتصال والانفصال لا يحل فيه شيء ولا ينحل منه شيء ولا يحل هو في شيء لا يحس ولا يَمس ولا يُمس ولا يُجس تنزه عن التأثرات والإحساس والشعور والانفعالات والتغير والتطور والتبدل هو الأزلي الأبدي «ليس كمثله شيء» ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، وأشهد أن سيدنا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله صلى الله عليه وعلى كل رسول أرسله.

أما بعد فمما أجمعت عليه الأمة أن الله سبحانه وتعالى منزه عن كل الكيفيات والهيئات والأشكال والأحجام والكميات والصور فهو سبحانه ليس كمية صغيرة بقدر الجوهر الفرد ولا بقدر الذرة ولا كمية كبيرة بقدر العرش لأن الكمية والكيفية والهيئة تحتاج إلى من يوجدها، إلى خالق يخلقها، لأنها حادثة خلقت بعد أن كانت معدومة وليست هي التي تخلق نفسها ولا خلقتها كمية أخرى والله تعالى هو خالق الكميات والكيفيات فهو منزه عن كل ما كان من معاني المخلوقين منزه عن كل

ما كان من صفات الحوادث بكل اشكالها وهيئاتها وصفاتها ولذلك قال الإمام الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، وهذا إجماع أهل السنة والجماعة لأن العقيدة الطحاوية تناقلتها الأمة خلفا عن سلف في الشرق والغرب والشمال والجنوب وتلقتها بالقبول واهتموا بها حفظا وتدريسا وشرحا.

وممن نقل الإجماع على كفر من يشبه الله بشيء من مخلوقاته أو ينسب إليه ما يؤدي إلى الجسمية أو صفاتها الإمام القاضي عبد الوهاب أبو محمد المالكي المتوفى في أوائل القرن الخامس الهجري في شرحه على عقيدة مالك الصغير فقال: «ولا يجوز أن يثبت له كيفية لأن الشرع لم يَرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام».

لذلك وتحذيرا للمسلمين من فتن وضرر الوهابية المجسمة الذين يموهون على الناس، فيقولون لهم عن الله «هو في السماء بذاته» أو «على العرش بذاته» أو «قاعد» أو «جالس» أو «متحرك» أو «ساكن» ويقولون «له صورة حقيقية» أو «كيفية مجهولة»، أو «يتكلم بحرف أو صوت» أو «يذهب ويجيء بالحركة والسكون والانتقال»، وهذا كله لم يرد في الكتاب ولا السنة ولا أجمعت عليه الأمة، بل مصادر التشريع كلها على خلاف ذلك، وقد نقلنا لك أيها القارئ المنصف إجماع الأمة على تكفير من يقول بذلك، فكن دائما على ذكر من نقل الإجماع في هذه المسألة ولا تتأثر بتمويهات الوهابية مهما حاولوا أن يبثوا وينشروا عقيدة التجسيم فيشبهوا الله بخلقه، واثبت على عقيدة أهل السنة والجماعة التي هي مأخوذة من القرءان والسنة الصحيحة وعليها إجماع الأمة ويشهد بصحتها العقل السليم، وسنذكر لك في هذه الرسالة شيئا

من نصوص أئمة وعلماء الإسلام من السلف والخلف في تنزيه الله تعالى عن الكيفية، والكيفية هي الشكل والصورة والهيئة والقعود والجلوس والطول والعرض، يقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فمن أثبت له كيفية من الكيفيات فقد كذّب هذه الآية ولا يكون من المسلمين.

فيجب الاعتقاد أن الآيات والأحاديث المتشابهات التي يوهم ظاهرها أن الله تعالى في جهة فوق أو أنه على العرش بذاته أو أنه في جهة السماء أو أن له هيئة أو شكلا أو صورة ليست على ظاهرها بل لها معنى يليق بالله.

ومن حمل هذه الأخبار المتشابهة على ظاهرها زاغ وضلّ وكفر كما قال الإمام السيد الحافظ المفسر أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه: **«صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر»**. أي إن ذلك موصل للكفر وموقع فيه.

فالذي يجب على كل مكلف أن يعتقده أن هذه الآيات والأحاديث لها معنى يوافق قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، كما يجب عليه أن يتعلم ما يجب لله وما يستحيل عليه وبقية الأمور الدينية الواجبة من الفرض العيني، والذي من لم يحصله يكون فاسقا مستحقا لعذاب الله، وحرصا منا على نشر هذا العلم سنبدأ في أول هذا الكتاب ببيان وتعريف الفقه الأكبر وتنزيه الله وتوحيده وإثبات تأويل بعض الآيات المتشابهات، وبعد ذلك نذكر نُقول علماء الأمة في تنزيه الله عن الشكل والهيئة والجسمية والكيفية.

الفقه الأكبر

أعلى العلوم وأوجبها وأفضلها هو علم التوحيد، ذلك أن شرف العلم بشرف المعلوم، ولما كان علم التوحيد يفيد معرفة الله على ما يليق به وتنزيه الله عما لا يجوز عليه وتبرئة الأنبياء عما لا يليق بهم كان أفضل من علم الأحكام، قال الله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1].

وقال الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الأبسط: «اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»[2] اهـ، لأن أفضل العلم العلم بالله ورسوله، ويسمى علم التوحيد وسماه الإمام أبو حنيفة الفقه الأكبر كما في بعض رسائله، ونصه: «أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه وما يتعلق منها بالاعتقاديات هو الفقه الأكبر»[3] اهـ لأنه أهم أمور الدين، هو أساس علم الدين، أساس الإسلام، لا يحصل الإسلام بدونه، فمن مزاياه أن من عرف الله على مذهب أهل السنة والجماعة، وعرف نبيه ﷺ، ومات على هذا الاعتقاد يدخل جنة الله مهما كان عليه من الذنوب، فبعض هؤلاء الذين يموتون على التوحيد إن كان عليهم ذنوب كثيرة، بعضهم يسامحهم الله ولا يعذبهم، والبعض يعذبهم ثم يخرجهم إلى الجنة، هذا مزية علم التوحيد، أما سائر العلوم علم الصلاة والصيام والحج والزكاة

---

(١) سورة محمد: جزء من الآية ١٩ .

(٢) انظر إشارات المرام للبياضي (ص/٢٨).

(٣) إشارات المرام للبياضي (ص/٢٩).

وغيرها من علوم الأحكام فليس له هذه المزية، فكم من أناس حفظوا القرءان ويكثرون الصلاة والصيام ماتوا من غير أن يعرفوا التوحيد على مذهب أهل السنة ماتوا وهم يعتقدون أن الله جسم، هؤلاء ما عرفوا الله ولا ينفعهم قول لا إله إلا الله باللفظ ولا حفظ القرءان، كل أعمالهم غير مقبولة عند الله قال الله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴿١٨﴾﴾[1]، ذلك أن الإيمان بالله ورسوله على الوجه الصحيح شرط لقبول الأعمال الصالحة أي لصحتها ونيل ثوابها في الآخرة.

قال العلامة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي ما نصه: «فعلى العامي الملازم لطاعة الله تعالى والمداوم عليها، أن يتعلم ما لا بد له منه من العلم الذي لا يصح ولا تتم طاعته إلا به من العلوم الظاهرة: مثل أحكام الطهارة والصلاة والصيام وما في معنى ذلك. وعليه أيضًا أن يعرف من علوم الإيمان الاعتقادية ما يحصن به معتقده من العلم بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله، والعلم باليوم الآخر من البعث والحشر والميزان، والصراط والجنة والنار، فيحصل من العلوم الإيمانية، والعلوم الإسلامية ما يصح به إيمانه وإسلامه، ويتمان ويكملان به، فذلك مقدم على اشتغاله بالعبادات ومواظبته عليها، فإن العلم كالأساس، والعبادة كالبنيان، وما لا أساس له لا ثبات له. وربما اشتغل المتعبد بطاعات وعبادات يستغرق بها أوقاته، ويتعب فيها نفسه وهو فيها غير محمود ولا مأجور، بل ربما كان ملومًا ومأزورًا إذا

(١) سورة إبراهيم: جزء من الآية ١٨ .

كان لم يعلم بما لا بد له من علمه في إقامة عباداته وصحتها، وكمالها من العلوم الإيمانية والإسلامية، فليكن المتعبد في نهاية الاعتناء بذلك والاهتمام به، والتفرغ له»[١] اهـ.

فهذا العلم علم التوحيد كان المسلمون في العصر الأول يعتنون به أكثر ممن بعدهم، أبو حنيفة رضي الله عنه مات سنة مائة وخمسين هجرية ومع ذلك ألف خمس رسائل في علم التوحيد وهي: الفقه الأكبر والفقه الأبسط والوصية والعالم والمتعلم ورسالة إلى عثمان البتي.

قال التفتازاني: «علم التوحيد الذي هو أساس الشرائع والأحكام ومقياس قواعد عقائد الإسلام أعز ما يرغب فيه ويعرج عليه، وأهم ما تناخ مطايا الطلب لديه، لكونه أوثق العلوم بنيانا وأصدقها تبيانا، وأكرمها نتاجا وأنورها سراجا، وأصحها حجة ودليلا وأوضحها محجة وسبيلا، حاموا جميعا حول طلابه وراموا طريقا إلى جنابه، والتمسوا مصباحا على قبابه ومفتاحا إلى فتح بابه»[٢] اهـ. بتصرف لطيف.

وقال الحافظ ابن الجوزي: «اعلم أن شرعنا مضبوط الأصول محروس القواعد لا خلل فيه ولا دخل وكذلك جميع الشرائع، إنما الآفة تدخل من المبتدعين في الدين أو الجهال، مثل ما فعل النصارى حين رأوا إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام، فإنهم تأملوا الفعل الخارق للعادة الذي لا يصلح للبشر، فنسبوا الفاعل إلى الإلهية، ولو تأملوا ذاته لعلموا أنها مركبة على النقائص والحاجات، وهذا القدر يكفي في عدم

---

(١) الدعوة التامة والتذكرة العامة (ص/ ٢٢٥).
(٢) شرح المقاصد في علم الكلام (ص/ ٣).

صلاح الإلهية ويعلم حينئذ أن الذي جرى على يديه إنما هو فعل غيره»[١] اهـ.

فهذا العلم علم التوحيد كان المسلمون في العصر الأول يعتنون به أكثر ممن بعدهم، فألف الإمام أبو حنيفة رسائل في التوحيد[٢]، من اطلع عليها يعرف منها عظيم حرصه رضي الله عنه في المنافحة عن العقيدة الحقة، وللشافعي كتابان في الكلام، أحدهما: في تصحيح النبوة والرد على البراهمة الذين ينكرون بعثة الأنبياء، والثاني: في الرد على أهل الأهواء. وذكر طرفا من هذا النوع في كتاب القياس[٣].

وهذا الإمام مالك بن أنس يشدد في رواية الأخبار المتشابهة، قال ابن القاسم: سألت مالكًا عمّن حدّث بالحديث الذين قالوا: «إنّ الله خلق آدم على صورته»[٤] والحديث الذي جاء: «**إنّ الله يكشف عن ساقه**»[٥]، وأنّه: «**يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد**»[٦]، فأنكر مالك ذلك إنكارًا شديدًا، ونهى أن يحدّث بها

---

(١) صيد الخاطر (ص/١١٦).

(٢) قال في هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٦/ ٤٩٥): «من تصانيفه رسالته إلى عثمان البتي قاضي البصرة، الفقه الأكبر مشهور، وعليه شروح، كتاب الرد على القدرية، كتاب العالم والمتعلم» اهـ.

(٣) أصول الدين للإمام الأستاذ أبي منصور عبد القاهر التميمي البغدادي (ص/ ٣٣٤) المسألة العاشرة في ترتيب أئمة الدين في علم الكلام.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨٧٣): كتاب الاستئذان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وابن حبان في مسنده (٥٦٠٥): كتاب الحظر الإباحة فصل في التعذيب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٧٦٣): من حديث عبد الله بن مسعود، أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٣٥): كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٦) لم أجده إلا عند الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦): حديث الصور، مع اختلاف في الألفاظ.

أحد»[١] اهـ. أي أمام من يخشى عليه أن يحملها على ظاهرها بل لا بد من بيان أنها ليست بأشكال ولا جوارح.

(وهو ما قاله سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: «**حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله**»، والمراد بقوله: «بما يعرفون» أي: يفهمون، وفي رواية: «ودعوا ما ينكرون» أي: يشتبه عليهم فهمه. وفيه دليل على أنّ المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامّة. ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدّثًا قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» وممّن كره التّحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث الّتي ظاهرها الخروج على السّلطان، ومالك في أحاديث الصّفات، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوّي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب)[٢].

وهكذا مضى أهل العلم يعلمون طلابهم، ويزرعون فيهم الحرص على العقيدة الحقة التي بينها رسول الله ﷺ، فهو قد جاء بعقيدة واحدة لا لبس فيها ولا دخل، إلا أن الأهواء سرعان ما بدأت بالدخول على الناس لأسباب مختلفة.

قال أبو المظفر الأسفرايني: «الأهل السنة والجماعة التفرد بأكثر من ألف تصنيف في أصول الدين، منها ما هو مبسوط يكثر علمه، ومنها ما هو لطيف يصغر حجمه، في أعصار مختلفة، من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، في نصرة الدين، والرد على الملحدين، والكشف عن أسرار بدع المبتدعين»[٣] اهـ.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ١٠٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٥٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١٩٩): (باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموه)، بتصرف.

(٣) التبصير في الدين لأبي المظفر الأسفراييني (ص/ ١٩٢).

ثم شرع يعدد أئمة أعلاما اعتنوا بوضع تآليف في هذا المعنى الذي ذكره، وأسهب في ذلك، وقد اقتصرت هنا على الإشارة لذلك، وهذا يؤكد ما نبه إليه الشيخ الكوثري فيما مر بنا في التمهيد.

وجل مقصود أعلام الأمة هو أن يبينوا العقيدة التي بعث الله تعالى بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، على الوجه الصحيح الصافي، وأن يحصنوا الناس من شبه المبتدعة على اختلاف أصنافهم ومشاربهم، أعاذنا الله منهم.

وجوب تعلم الفقه الأكبر

قال الحافظ الكبير البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) ما نصه: «(باب أول ما يجب على العاقل البالغ معرفته والإقرار به) قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾﴾[1]، وقال له ولأمته: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[2]، وقال: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴿١٣٦﴾﴾[3] الآية، فوجب بالآيات قبلها معرفة الله تعالى وعلمه، ووجب بهذه الآية الاعتراف به والشهادة له بما عرفه ودلت السنة على مثل ما دل عليه الكتاب»[4] اهـ.

وروى الحافظ البيهقي والطبراني وابن ماجه عن جندبٍ قال: «**كنا غلمانا حزاورة[5] مع رسول الله ﷺ فيعلمنا الإيمان قبل القرآن، ثم يعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا، وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان**»[6]. قال الحافظ البوصيري عن هذا الحديث: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»[7].

---

(١) سورة محمد: جزء من الآية ١٩ .

(٢) سورة هود: جزء من الآية ١٤ .

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ١٣٦ .

(٤) في كتابه الاعتقاد (ص/١٩).

(٥) قال في النهاية في غريب الحديث، باب الحاء مع الزاي، (٢/ ٢٩٠): حزاورة: هو جمع حَزْوَرٍ وحَزَوَّرٍ، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع.

(٦) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٠)، (٥٠٧٥)، جماع أبواب صلاة الإمام وصفة الأئمة، باب البيان أنه إنما قيل يؤمهم أقرؤهم، وابن ماجه في سننه (١/ ٢٣)، (٦١)، باب في الإيمان، والمعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٦٥)، (١٦٧٩)، جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي.

(٧) انظر مصباح الزجاجة (١/ ١٢)، (٢٢)، كتاب اتباع السنة، باب في الإيمان.

ولذلك فأنا أؤكد هذا المعنى بهذه النقول الجليلة فتأملها:

- قال الشافعي رضي الله عنه: «سألت مالكا عن التوحيد فقال: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، وقد قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[(١)] الحديث[(٢)] اهـ.

- قال الإمام الشافعي: «**أحكمنا ذاك قبل هذا**»[(٣)]، أي أتقنا علم التوحيد قبل فروع الفقه.

- وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: «**أول ما يجب على العبد العلم بالله ورسوله ودينه**»[(٤)] اهـ.

- وقال الإمام الجنيد البغدادي: «**أول ما يحتاج إليه العبد من اعتقاد الحكمة معرفة المصنوع صانعه، والمحدث كيف كان إحداثه فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث ويذل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته فإن لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه**»[(٥)] اهـ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٣)، (٣٨٥)، أبواب القبلة، باب فضل استقبال القبلة.

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٩/ ٤٠)، خلال رسالة أحمد بن يحيى بن إسماعيل الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكيلاني الحلبي الأصل والتي أولها في (٩/ ٣٤).

(٣) تبيين كذب المفتري للحافظ الكبير ابن عساكر (ص/ ٣٤١)، ونصه: قال الحافظ البيهقي: وقرأت في كتاب أبي نعيم الأصبهاني حكاية عن الصاحب بن عباد أنه ذكر في كتابه بإسناده عن إسحاق أنه قال: قال أبي: كلم الشافعي يومًا بعض الفقهاء فدقق عليه وحقق وطالب وضي فقلت: يا أبا عبد الله هذا لأهل الكلام لا لأهل الحلال والحرام فقال: «**أحكمنا ذلك قبل هذا**» اهـ.

(٤) الدليل القويم على الصراط المستقيم لشيخنا الحافظ عبد الله بن محمد الهرري رحمات الله عليه (ص/ ٢٢).

(٥) الرسالة القشيرية (ص/ ٦).

- وقال أبو القاسم القشيري: «سمعت الأستاذ أبا علي يقول: «فتجب البداية بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى، صاف عن الظنون والشبه، خال من الضلالة والبدع، صادر عن البراهين والحجج»[١] اهـ.

- وقال أبو حامد الغزالي: «لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود»[٢] اهـ.

- وقال ما نصه: «اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظًا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئًا»[٣] اهـ.

- وقال الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: «المقصد الأول في بيان عقائد الإسلام وأصول الأحكام - أول واجب على المكلف معرفة الله تعالى، وهي: أن تؤمن بأن الله تعالى موجود ليس بمعدوم. قديم ليس بحادث. باق لا يطرأ عليه العدم. مخالف للحوادث لا شيء يماثله. قائم بنفسه لا يحتاج إلى محل ولا مخصص. واحد لا مشارك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»[٤] اهـ.

- وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «العلم بالله ومعرفة ما يجب من حقه أعظم قدرا من مجرد العبادة البدنية»[٥] اهـ.

---

(١) الرسالة القشيرية (ص/ ٣١٣)، باب الوصية للمريدين.

(٢) الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم لشيخنا العبدري رحمه الله (ص/ ٩٠).

(٣) إحياء علوم الدين (ص/ ٢٧)، كتاب قواعد العقائد، في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد.

(٤) المقاصد (ص/ ١٠).

(٥) فتح الباري (٩/ ١٠٦)، كتاب النكاح.

- وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسيني: «**ويجب على كل مكلف شرعًا أن يعرف ما يجب في حق مولانا جل وعز، وما يستحيل وما يجوز، وكذا يجب عليه أن يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام**»[١] اهـ.

- وقال العلامة صالح عبد السميع الآبي الأزهري المالكي ما نصه: «**معرفة ما يجب لله عز وجل، وما يجوز وما يستحيل تستلزم معرفة مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام**»[٢] اهـ. يشرح كلام العلامة الأخضري: «**أول ما يجب على المكلف تصحيح إيمانه**، ثم معرفة ما يصلح به فرض عينه، كأحكام الصلاة والطهارة والصيام» اهـ.

- وقال أحمد بن غنيم بن سالم النّفراويّ بلدًا، الأزهريّ موطنًا المالكيّ مذهبًا: «**من واجبِ أمور الدّيانات على كلّ مكلّفٍ** اعتقاد أنّه تعالى (لا شبيه له ولا نظير له) في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، والنّظير بمعنى الشّبيه فهما لفظان مترادفان، وإنّما وجب تنزّهه عن الشّبيه، لأنّه تعالى لو أشبهه شيءٌ من المخلوقات لكان مشبهًا له، وجائزًا عليه الفناء الجائز على المخلوقات، ولزم كونه خالقًا ومخلوقًا وقديمًا وحادثًا وكلّ ذلك محالٌ، قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٣] فأوّل هذه الآية تنزيهٌ، ففيه ردٌّ على المجسّمة وآخرها إثباتٌ، ففيه ردٌّ على المعطّلة النّافين لزيادة جميع

---

(١) متن السنوسية في علم التوحيد (ص/ ٢).

(٢) هداية المتعبد السالك في مذهب الإمام مالك شرح مختصر العلامة الأخضري المالكي (ص/ ١٢).

(٣) سورة الشورى: جزء من الآية ١١ .

الصّفات، وقدّم فيها النّفي على الإثبات، وإن كان الأولى العكس في أماكن كثيرةٍ، لأنّه لو قدّم الإثبات فيها لأوهم[١] التّشبيه بالمخلوق الّذي سمعه بأذنٍ وبصره بحدقةٍ، فقدّم التّنزيه ليعرف السّامع ابتداءً أنّه ليس مشابهًا لشيءٍ من الحوادث، وهذه الآية دليلٌ قاطعٌ على مخالفته تعالى لسائر الحوادث، وهي أقمع آيةٍ للشّيطان عند تعرّضه للإنسان في مقام البحث عن ذات البارئ وصفاته»[٢] اهـ.

وقال: «مما يجب اعتقاده أنّه (لا يبلغ) أي لا يدرك (كنه) أي حقيقة (صفته) تعالى (الواصفون) أي العارفون بطريق معرفة الصّفات، والصّفة لا بقيدِ صفة الله تعالى هي المعنى القائم بالموصوف، وتفسير الكنه بالحقيقة هو الظّاهر»[٣] اهـ.

- قال الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في كفاية الغلام في أركان الإسلام:

«معرفة الله عليك تفترض ... بأنه لا جوهر ولا عرض
وليس يحويه مكان لا ولا ... تدركه العقول جل وعلا
لا ذاته يشبه الذوات ... ولا حكت صفاته الصفات»[٤]

---

(١) الإيهام ويقال له التخييل أيضًا، وهو أن يذكر لفظ له معنيان قريب وغريب، فإذا سمعه الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلم الغريب، وأكثر المتشابهات من هذا الجنس، ومنه قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [سورة الزمر]، انظر التعريفات للجرجاني (ص٦)، والمراد بقدرته.

(٢) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٠)، باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة.

(٣) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٢).

(٤) حكت أي شابهت.

- قال العلامة أبو محمد عبد الواحد بن عاشر ما نصه:

«أول واجب على من كلفا الله ممكنًا من نظر أن يعرفا
والرسل بالصفات مما عليه نصب الآيات»[١]

- قال العلامة محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين ما نصه: «(اتفق الفقهاء) أي المجتهدون (على فرضية علم الحال) أي العلم بحكم ما يحتاج إليه في وقت احتياجه إليه، قال في التتارخانية: اختلف الناس في أي علم طلبه فرض فحكى أقوالًا، ثم قال: والذي ينبغي أن يقطع بأنه المراد هو العلم بما كلف الله تعالى عباده، فإذا بلغ الإنسان يجب عليه معرفة الله تعالى بصفاته بالنظر والاستدلال وتعلم كلمتي الشهادة مع فهم معناهما، ثم إن عاش إلى الظهر يجب تعلم الطهارة ثم تعلم الصلاة وهلم جرًا، فإن عاش إلى رمضان يجب تعلم علم الصوم، فإن استفاد مالًا تعلم علم الزكاة والحج إن استطاعه وعاش إلى أشهره، وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال المفروضة عينًا»[٢] اهـ.

الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه المبتدعة:

قال الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم: «وذكر بعض العلماء أنّ ابن الجوزيّ جلس يومًا على كرسيّ وعظه يقرّر في تفسير: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[٣] فوقف رجلٌ على رأسه، وقال له: فما يفعل ربّك الآن؟ فسكت وبات مهمومًا، فرأى المصطفى ﷺ

(١) متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين (ص/ ٤).
(٢) منهل الواردين من بحار الفيض على ذخر المتأهلين في مسائل الحيض (ص/ ٢١).
(٣) سورة الرحمٰن: جزء من الآية ٢٩ .

فسأله فقال له: إنّ السّائل هو الخضر وإنّه سيعود إليك فقل له: شؤونٌ يبديها ولا يبتديها يخفض أقوامًا ويرفع آخرين، فأتاه فأجابه، فقال له: صلّ على من علّمك.

وذكر صاحب الكشّاف في تفسيره أنّ عبد الله بن طاهرٍ سأل الحسين بن الفضل، وقال له: أشكل عليّ قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ وقد صحّ أنّ القلم جفّ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فقال الحسين في الجواب: إنّ معنى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ شؤونٌ يبديها أي يظهرها لا شؤونٌ يبتديها أي يقدّرها أي لأنّ التّقدير في سابق علمه، فقام عبد الله وقبّل رأسه»[1] اهـ.

وإنما قدمت هذا النقل لإظهار أهمية هذا المعنى... وهذا من جهة ولا تخفى الحاجة لتفهم المعاني للإجابة عند الحاجة... فكيف إذا وقعت الفتن:

قال الشيخ تقي الدين الحصني عند كلامه على حديث الفتن التي تموج موج البحر ما نصه: «والفتن كل أمر كشفه الاختبار عن أمر سوء، وأصله في اللغة الاختبار، وشبهت بموج البحر لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدة عظمها وشيوعها، وقوله: تعرض الفتن على القلوب أي تلصق بعرض القلوب أي بجانبها، كالحصير تلصق بجنب النائم وتؤثر فيه لشدة التصاقها، وهذا شأن المشبهة تلصق فتنة التشبيه في قلوبهم ويزينها لهم الشيطان فيرونها حسنة فيهلكون، حتى يعتقدوا ذلك دينا وقربانا من الله عز وجل، وما يقنع أحدهم حتى يبقى داعية وحريصا على إفتان من يقدر على إفتانه كما هو مشاهد منهم، وإلى مثل ذلك قوله: (أشربها) أي دخلت فيه دخولا

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٣).

تاما وألزمها وحلت منه محل الشراب، ومنه قوله تعالى ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴿٩٣﴾﴾[1] أي حبه»[2] اهـ.

ثم تكلم عن الملحد المنجم المغيرة بن سعيد الذي طارت فتنته وافترى على الله ورسوله وعلى الصحابة وعلى أهل البيت إضافة لخبائث أخر، إلى أن قال: «فلما كان في السنة التاسعة عشرة والمائة ظفر به خالد بن عبد الله القسري فأحرقه وأحرق معه خمسة من أتباعه، فهذا شأن أهل الزيغ، واستمر الأمر على ذلك إلا أنهم سلكوا مسلك المكر والحيلة بإظهار الانكباب على سماع الحديث، ويكثرون من ذكر أحاديث المتشابه ويجمعونها ويسردونها على الناس العوام.

ثم كثرت المقالات في زمن الإمام أحمد، وكثر القصاص وتوجع هو وابن عيينة وغيرهما منهم، وكان الإمام أحمد يقول: «كنت أود لو كان قصاصا صادقا نصوحا طيب السريرة»، ونبغ في زمنه محمد بن كرام السجستاني، وترافق مع الإمام أحمد، وأظهر حسن الطريقة حتى وثقه هو وابن عيينة، وسمع الحديث الكثير ووقف على التفاسير وأظهر التقشف مع العفة ولين الجانب، وكان ملبوسه جلد ضأن غير مخيط وعلى رأسه قلنسوة بيضاء، ثم أخذ حانوتا يبيع فيه لبنا، واتخذ قطعة فرو يجلس عليها ويعظ ويذكر ويحدث ويتخشع حتى أخذ بقلوب العوام والضعفاء من الطلبة لوعظه وبزهده حتى حصر من تبعه من الناس فإذا هم سبعون ألفا، وكان من غلاة المشبهة وصار يلقي على العوام الآيات المتشابهة والأخبار

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٩٣ .
(٢) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٢٥).

التي ظواهرها يوافق عقول بعض العوام وما ألفوه، ففطن الحذاق من العلماء فأخذوه ووضعوه في السجن، فلبث في سجن نيسابور ثماني سنين، ثم لم يزل أتباعه يسعون فيه حتى خرج من السجن، وارتحل إلى الشام ومات بها في زعر، ولم يعلم به إلا خاصة من أصحابه فحملوه ودفنوه في القدس الشريف، وكان أتباعه في القدس أكثر من عشرين ألفا على التعبد والتقشف، وقد زين لهم الشيطان ما هم عليه، وهم من الهالكين وهم لا يشعرون، واستمر على ما هم عليه خلق، شأنهم حمل الناس على ما هم عليه إلى وقتك هذا، قال الله تعالى ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۝٨﴾[1]، قال سعيد بن جبير: هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء والبدع، المعنى أنه ركض في ميادين الباطل وهو يظنها حقا، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول عند هذه الآية: إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها»[2] اهـ.

ثم تكلم في صفات أهل البدع فذكر أمورا إلى أن قال: «ومنها أن يتعرض لآيات المتشابه وكذلك الأخبار ويجمعها ويسردها، ويكرر الآية والخبر مرارا لأنه يوقع العامي فيما اعتاده وألفه، فيجري صفات الخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرى عليه طبعه ويزينه الشيطان له بغروره. . . فمن أراد الله به خيرا حماه من مجالسة هؤلاء لأن القلب سريع الانقلاب وقبول الرخص والشبه، فإذا علقت به الشبهة والريبة فبعيد أن يرتفع عن قلبه غشاوة ما وقر فيه، وأقل ما ينال القلب

---

(١) سورة فاطر: جزء من الآية ٨ .

(٢) دفع شبه من شبه وتمرد (ص٢٦ - ٢٧).